﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: 76]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقال من الجزاء إلى وصفه

بعد أن ذكر في الآية السَّابقة حالَ المؤمنين عند اللّٰه يوم القيامة، وأنّ لهم الدّرجات العلا، ناسَبَ أن يُفسّر تلك الدّرجات العلا، ويصفها في هذه الآية فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَدۡنٖ﴾: (عدن) أَصْلٌ، والمعدِن: مركز كل شيء، والعَدْن: الإقامة، وعَدَن بمكان كذا؛ استقرَّ، ومنه المَعدِن لمُستقَرِّ الجواهر[1]، وقوله تعالى في الآية: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾؛ أي أماكن إقامة دائمة لا تنقضي.

2) ﴿تَزَكَّىٰ﴾: (زكا) أَصْلٌ، وقيل: سُمّيت الزكاة بذلك؛ لأنَّها مما يُرجى به زكاة المال، وهو زيادته ونماؤه، وقال قوم: سُمّيت زكاةً؛ لأنها طُهْرَة، والزَّكاءُ: النَّماءُ، و(زَكَّاهُ) أيضًا أخذَ زَكاتَهُ، و(تَزَكَّى) تَصَدَّقَ، و(زَكا) الزَّرْعُ يَزْكو (زَكاءً) بِالفَتْحِ والمَدِّ أَيْ: نَما[2]، والمعنى في الآية: تَطَهَّرَ من المعاصي.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

وصف الدّرجات العُلا من الجنّة

تُبيِّن الآية ما يكون للذين آمنوا في الآخرة من جنَّاتٍ باقية دائمة تجري من تحت أشجارها وثمارها الأنهارُ خالِدينَ فيها خلودًا أبديًّا، وذلِكَ العطاء الجزيل الباقي جزاء من تزكى؛ أي: من تطهّر وتجرّد من دنس الكفر والمعاصي[3].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والأصفهانيّ، المفردات: (عدن).
(2) الأصفهانيّ، المفردات، والرّازيّ، مختار الصّحاح: (زكا).
(3) طنطاوي، الوسيط: 9/ 130.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصلِ الآيةِ عن السَّابقة:

تفسيرُ الدَّرجات بالجنَّات

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ بدل من الدرجات[1]، فبعد أن ذكر الدّرجات، جاء ذكر الجنَّات ليُعلم أنّ تلك الدّرجات هي في جنَّات عدن، ويمكن أن يكون المعنى أنّ الدّرجات تدلّ على أنَّ الذين تقربوا من الله استحقّوا بها جنَّات عدن تجري من تحتها الأنهار، ففُصلت الآية عن السَّابقة لأنَّ الجنَّات بيانٌ وتعريفٌ للدَّرجات المذكورة في الآية السَّابقةِ، وهذا من كمال الاتصال الذي هو أحد موجبات الفصل بين الجملِ.

غرضُ جمع الجنَّات:

تكثيرُ الجنَّات وتعظيمُ شأنِها فجزاءُ المؤمن أعظمُ من أن يُدرَك

جاء لفظ الجنَّات في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ مجموعًا للتّكثير، ولبيان عظيم ما أصابه المؤمنون من الخير والفضل والجزاء، وقد جاءت هُنا لبيان الدّرجات العلا فتناسب جمعها لجمع الدّرجات، ويمكن أن يكون المراد ما قاله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن: 46]، ويمكن أن يكون المُراد أنَّ نَصيبَ كلّ واحدٍ من المكلَّفين جنةٌ على حِدَة[2]، والله أعلم بحقيقة مراده، وفضله يسع الجميع بما لا طاقة لعقل بشرٍ عن دركه.

سعةُ احتمال اللَّفظ لدلالاتٍ عديدة:

العَدن اسمٌ جامعٌ للخيرِ الثَّابت والنَّفع الدَّائم

معنى العدن الإقامة، ومنه المَعْدِن؛ لأنّ حجره مقيم فيه ثابت[3]، فيجوز أن يكون المعنى: (أولئك لهم جنات إقامة دائمة)، بمعنى الخلود، كما يُقال: هذه دار إقامة، ويجوز أن يكون ﴿عَدۡنٍ﴾ اسمًا لموضع معين من الجنّة وهو وسطها وأشرف أماكنها[4]، ويمكن أن

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 34.
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 104.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 514.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 104.

يكون هذا الاسم للجنّة؛ لأنّ من يدخلها فإنّه مقيم فيها، لا يرغب بالتّحوّل عنها لما فيها من النّعيم المقيم، وهذه المعاني قد تكون مرادةً؛ فإنَّ دلالة النَّظم تحتمل ذلك كلَّه.

نكتةُ التَّعبير بالمضارعِ ﴿تَجۡرِي﴾:

جاء فعل الجريانِ في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ بصيغة المضارع؛ ليدلَّ ذلك على التّجدّد والاستمرار، إذ لا ينتهي هذا الجريان إلى حدٍّ معيّن، فهي جنَّات مستمرّة أنهارها بجريانها دون حدٍّ، فلا تنضب ولا تنقطع، ولا تزيد ولا تنقص، وما في ذلك من دلالة الحياة الخالدة.

جريان الأنهار في الجنان بتدفّق دائم لا يزيد ولا ينقص

جريان الأنهار بين الحقيقة والمجاز:

الأنهار لا تجري وإنّما الماء الذي فيها هو الذي يجري، فأسند الفعل إلى غير فاعله؛ إذ أسند الجري إلى الأنهار لا إلى الماء، فهو مجاز عقليّ علاقته المحليّة، ومحلّ ما وطِئت أقدامهم تتفجّر مياه الأنهار وتجري، وهذا التَّوجيه للمجاز شائعٌ بين بعضِ البيانيّين، والقول الآخر أنَّ أنهار الجنَّة تجري على الحقيقة من غير أخاديد، فإسناد الجريان للأنهار هذا تعبيرٌ حقيقيٌّ لا مجازيٌّ، والأولى من ذلك كلِّه أن نكل حقيقةَ العلم إلى الله تعالى؛ لأنَّ ذلك غيبٌ محض.

حقيقةُ جريانِ أنهارِ الجنَّة غيبٌ نَكِلُ علمَه إلى الله تعالى

نكتة تقديم ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ على ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ على الفاعل في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ لتسليط الضَّوءِ على مكان الجريان قبل ذكره، فإنَّ النَّفس تتطلع دائمًا إلى موضعِ جريان الأنهار، ولما في التَّقديم من التَّشويقِ، وفيه بيانٌ لجمال وروعة ما يمكن أن يلقى المؤمن وما يُعايش من مشاهد في جنان الله يوم القيامة.

تتفجّر أنهار الجنان محلَّ ما وطِئَت أقدامُ المؤمنين

بلاغةُ التَّعريضِ بذكرِ الخلودِ:

جاء ذكرُ الخلود في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ بعد ذكر الصَّلْبِ

بعد انقضاءِ الحياةِ الدُّنيا يكون الخلود متاعَ أهلِ الجنّة

والتعذيب في الدنيا، وقد خاطبَ السَّحرةُ فرعونَ: ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾، فعُلم أنّ نعيم الله لا نهاية له أبدًا، فكان قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يُعطي الانطباع والتّصوّر عن غثاثة الدّنيا، وزهادة قيمتها، فمهما فعل الطّغاة وتجبّروا في الدّنيا فإنهم خاسرون، ومهما ملكوا وحازوا فهم فقراء أمام عطاء الله وخلود أهل الجنّة فيها.

غرضُ استعمال الموصول:

التزكية شرطٌ في الجزاءِ العظيم

استُعمل الموصول في قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ لغرض التّعميم، فكلّ من تزكّى نالَ جنةَ عَدْنٍ خالدًا فيها، وفيها أيضًا معنى التّعريض بأولئك الذين يأتون مجرمين كافرين منكرين لرسالات الأنبياء.

دلالة الفعل الماضي ﴿تَزَكَّىٰ﴾:

على قدر التّزكية يكون الاستحقاق

دلَّ الفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ على ثبوت التّزكية للمتزكّي ووقوعها، وأنّها صفة دائمة من صفاته، والتّزكية هنا هي التّطهّرُ حقيقة كتزكية المال، أو مجازًا كتزكية النّفس من كل ما هو مُسْتَقْبَحٌ مُستَكْرَهٌ، فعلى قَدْر أفعاله في التّزكية فإنّه يرقى في درجات الجنّات.

بلاغةُ التذييل:

جزاءُ الجنَّةِ بسببِ التَّزكية في الدُّنيا

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ وقع موقع التّذييل لما سبقه؛ إذ تضمّن إيجازًا لما سبق من تعدادِ الجزاء الذي وُعِدَ به المُتّقون المؤمنون، وذلك جزاء أعمالهم من الإيمان القلبي الذي يظهر على الجوارح؛ أعمالًا صالحة، وعبادات، وإصرارًا على الحق، ويقينًا، وعزيمة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»